قراءة

محمد خير

تبدو عوالم رواية الكاتب المصري، الصادرة حديثاً، أقرب إلى تأمّل عقلانيّ معكوس، حيث العقل هو المفكّر، بينما صاحب العقل هو المفكَّر فيه؛ العقل ذاتٌ وصاحبه موضوع. إنّها لعبة «يبنغ بونغ» متبادلة بين الاثنين

«مرحلة النوم» لمحمد خير
تأمُّلٌ عقلي معكوس

عالم فانتازي يُولَد في المتاهة

يزن الحاج

شهد العقد الماضي صعوداً لروايات الدستوبيا التي بدت وكأنّها الحل الذي كان ينتظره الجميع للهروب من رقابة الواقع وجحيمه. لم تولد الدستوبيا العربية مع هذا العقد بكلّ تأكيد، إذ سبقتها محاولات عديدة منذ سبعينيات القرن الماضي، لنهاد شريف وصبري موسى على الأخص، وإن كانت أعمال شريف أقرب إلى الخيال العلمي منها إلى الدستوبيا التي نجد توافقاً حيال أنّ أوّل أعمالها العربية كانت رواية صبري موسى «السيّد من حقل السبانخ» (1982)، لتتبعها فترة صمت تجاوزت ربع قرن، قبل أن تصدر رواية «يوتوبيا» (2008) لأحمد خالد توفيق التي رسّخت هذا الجنس الكتابي.

لكنّ استسهال كتابة هذا الجنس أدّى إلى نتائج عكسية، إذ بات موضوع مَن لا موضوع له؛ طوفان من الروايات التي ادّعت جميعها الانتماء إلى هذا النوع الأدبي، إلى حدّ أنّ التصنيف ذاته بات غامضاً، إذ أُدرجَ فيه كلّ عمل فيه شيء من «الغرائبية». الذنب ذنب النقّاد أوّلاً، إذ الحقوا كلّ عمل يتناول المستقبل بالدستوبيا، وأسهموا في حمأسهم المبالغ فيه إلى الإعلاء من شأن هذا الجنس، لا لشيء إلّا لكونها «غير واقعية»، أو «تحرّرت من قيود الواقعية»، وكأنّ الواقع ليس دستوبياً بما يكفي. ولكن هو «التريند» أياً يكن موضوعه. استسهال القراءة والتصنيف سيوقع قارئ أحدث روايات محمد خير (1978) «مرحلة النوم»، الصادرة حديثاً عن دار «الكتب خان»، في فخّ التصنيف الخاطئ. إذ برغم غرائبيّة النصّ، ووقوع أحداثه في المستقبل القريب، إلّا أنه ليس دستوبياً، بل إن كاتبه تعمّد إقصاء روايته الجديدة هذه عن الدستوبيا، وعن أيّ تصنيف صريح آخر. ليس هذا بغريب عن محمد خير الذي تتّسم جميع أعماله تقريباً باللعب على حدود الأجناس الأدبية، وبخاصة روايته البديعة «إفلات الأصابع» (2018) التي ما تزال برأيي محافظةً على مكانتها بما هي إحدى أعظم روايات العقدين الأخيرين عربياً، وإن لم تحظ إلى اليوم بمكانة وقراءة تستحقّها بسبب الكسل النقدي ومحسوبيات وسطنا الثقافي الرديء، بخلاف ما لاقته من نجاح في ترجمتها الإنكليزية، ولكن هذا حديث ذو شجون ليس هذا مكانه.

«مرحلة النوم» أقرب إلى تأمّل عقلي معكوس، حيث العقل هو المفكّر، بينما صاحب العقل هو المفكَّر فيه؛ العقل ذات وصاحبه موضوع؛ أو ربّما هي لعبة «يبنغ بونغ» يتبادل فيها العقل وصاحبه مكانيهما، لتمسي ساحة التفكير عالماً فانتازيّاً يولد في المتاهة، ويعيش ما عاشت تلك المتاهة. يبدو وارف شاهين، بطل الرواية، وكأنه يشرّح عقله، ويترك له زمام المبادرة حتى لو كانت النتيجة ضياع وارف في هذه المتاهة التي تتصادم فيها الأزمنة والأمكنة مثل الشهب. فكلّ ما في حياته الماضية تخيُّط وقلق، ثمّ سجن، ثمّ خروج إلى حرّية واستقرار؛ أو ربّما هو استقرار بغريب عن محمد خير الذي تتّسم جميع أعماله تقريباً باللعب على حدود الأجناس الأدبية، وبخاصة روايته البديعة «إفلات الأصابع» (2018) التي ما تزال برأيي محافظةً على مكانتها بما هي إحدى أعظم روايات العقدين الأخيرين عربياً، وإن لم تحظ إلى اليوم بمكانة وقراءة تستحقّها بسبب الكسل النقدي ومحسوبيات وسطنا الثقافي الرديء، بخلاف ما لاقته من نجاح في ترجمتها الإنكليزية، ولكن هذا حديث ذو شجون ليس هذا مكانه.

«مرحلة النوم» أقرب إلى تأمّل عقلي معكوس، حيث العقل هو المفكّر، بينما صاحب العقل هو المفكَّر فيه؛ العقل ذات وصاحبه موضوع؛ أو ربّما هي لعبة «يبنغ بونغ» يتبادل فيها العقل وصاحبه مكانيهما، لتمسي ساحة التفكير عالماً فانتازيّاً يولد في المتاهة، ويعيش ما عاشت تلك المتاهة. يبدو وارف شاهين، بطل الرواية، وكأنه يشرّح عقله، ويترك له زمام المبادرة حتى لو كانت النتيجة ضياع وارف في هذه المتاهة التي تتصادم فيها الأزمنة والأمكنة مثل الشهب. فكلّ ما في حياته الماضية تخيُّط وقلق، ثمّ سجن، ثمّ خروج إلى حرّية واستقرار؛ أو ربّما هو استقرار بغريب عن محمد خير الذي تتّسم جميع أعماله تقريباً باللعب على حدود الأجناس الأدبية، وبخاصة روايته البديعة «إفلات الأصابع» (2018) التي ما تزال برأيي محافظةً على مكانتها بما هي إحدى أعظم روايات العقدين الأخيرين عربياً، وإن لم تحظ إلى اليوم بمكانة وقراءة تستحقّها بسبب الكسل النقدي ومحسوبيات وسطنا الثقافي الرديء، بخلاف ما لاقته من نجاح في ترجمتها الإنكليزية، ولكن هذا حديث ذو شجون ليس هذا مكانه.

«مرحلة النوم» أقرب إلى تأمّل عقلي متتالية لا سبيل إلى السباحة فيها كلّها، حيث يُستنفد العُمر قبل أن تنتهي، وكأنّها مكتبة لانهائية من الأحرف والقواميس للغات غريبة لا سبيل إلى إتقانها أو حتى الإلمام بها كلّها. وتتضاعف هذه الغرائبية حين ندرك أنّ وارف يحمل جرثومة «الأجَنَنة» معه أينما حلّ وكيفما ارتحل في هذا الحاضر العبثي، هو الأجنبي برغم كونه صاحب المكان، هو العنصر المترجَم برغم كونه المترجِم الذي يحيط حياته كلّها بالترجمة التي تكاد تمثّل جوهر وجوده الذي سينهار بانهيارها: فيمعزل عن عمله في الترجمة، كلّ ما في وارف مترجَم: اسمه مترجم، زمنه مترجم، أفعاله مترجمة، بل إنّ مشاعره هي أيضاً مترجمة، بمعنى عدم اندماجها في المكان.

ما يزيد غرائبية عالم «مرحلة النوم» هو أنّه ليس كابوسياً بما يكفي، إذ ما من خوف يُكبّل وارف في حاضره هذا، بل يبدو الأمر أقرب إلى فصول متوتّر قليق. ولا يحدث الرعب والهلع إلّا حين يصطدم وارف بمشهد «طبيعي»، وكأنّ عقل وارف أدرك أخيراً معنى هذا العالم الجديد، فتمزّقت أعصابه. هو أشبه بعالم موازٍ كلّ مؤقّتٍ فيه دائم، وكلّ عابر مقيمٌ، وكلّ وافدٍ متجذّر. هو ذاته العالم الذي حلم به وارف يوماً ما في لحظة تمنٍّ فكاهية، ثمّ دفع ثمن الحلم، حين دخل الثقب الأسود في اعتقال دام سبع سنوات، رُمي بعده إلى هذا العالم الموازي الرجراج الذي لا ثابت فيه. الأماكن هي هي، ولكنّها مختلفة؛ الناس هُم هُم ولكنّهم مختلفون، فالأزمنة متقلّبة مثل أمواج بحر لا منجى منها لوارف إلّا بمرساتين سرقهما وارف من عالمه القديم، غير أنّه سيدرك لاحقاً أنّ كل ما يدخل هذا العالم الجديد سيتغيّر بحيث لا تبقى مرساة في هذا الليّ المرعب.

سالي مرساته الأولى، غير أنّها أكثر اندماجاً في هذا العالم منها في العالم القديم، ولذا تتناقص ثقة وارف بها شيئاً فشيئاً، إلى أن يصل إلى مرحلة ما عاد يُميّز فيها بين الثقة والشك، والصدق والكذب، والحنان والشفقة.

وجدي مرساته الثانية الأقوى، بخاصة أنّه يذكّره أكثر بالعالم الذي مضى (مضى أم تقلّب؟): عالم الأحرف والأخبار والوقائع، وإن كانت الأخبار مُختلَقة، والوقائع مُتخيَّلة، ليُدرك وارف وندرك معه متأخّرين أنّ الأخبار المختلَقة في عالم كان هو أيضاً نتاج حلم مُخلِق ستلتهم خالقها، ولذا يختفي وجدي في الثقب الأسود ذاته الذي ابتلع وارف قبل سبع سنوات، أو لعلّه ثقب أسود متحوّر أسودّ بكلّ ما في هذا الزمن الرجراج.

زمن رجراج وكأنّه ماء ثقيل، وكأنّه ماء رحم، يتخبّط فيه وارف كأيّ جنين يحاول تلمّس ما حوله في هذا الكون المائي الدافئ، ولا سبيل ولا نجاة من هذا الرحم إلّا حين يُقذف وارف في ولادة جديدة يحلّق فيها فوق هذا العالم ليُعيد تأمّله بسكينة صافية هذه المرّة لعلّه يفهم ما لم يفهمه من قبل. وكما أنّ هذا العالم رجراج لا سبيل إلى إحكام قبضتنا عليه، كذا هي هذه الرواية القصيرة التي تتملّص من بين أيدينا، بحيث تتركنا أمام إحساس غريب بأنّ ثمّة ما ينقصنا لتغدو أبهى. لعلّه الإغراق في الغرائبية في بعض مفاصل الرواية بحيث تاه محمد خير قليلاً وتوّهنا معه، أو لعلّها روح القصّة القصيرة التي تسلّلت إلى هذه الرواية فتمرّدت بعض أجزائها على كلّها. أو ربّما تحتاج الرواية إلى إعادة قراءة هادئة جديدة لندرك ما غفلنا عنه في عمارة سردية أخرى في عالم محمد خير الذي يعدنا بالكثير.

(كاتب ومترجم من سورية)

> رعبٌ لا ينجم عن خلفية كابوسية بل مردّه الواقع نفسه

يوميات

كفاحٍ مستميت لحفظ الحياة الفلسطينية

أسئلة مفجعة وأجوبة أفجع

> هل هناك قدرة بشرية في الكون تستطيع أن تتحمّل خراباً وفقداناً وعوزاً وتهجيراً متكرّراً يواجهُ شعباً كاملاً كما هو الحال مع الفلسطينيّين في غزّة؟

عاطف الشاعر

اعترتني رجفة وأنا أقرأ ما كتبته ابنة أخي الممرّضة ياسمين الشاعر؛ وهي المندوبة الأصغر مع «الصليب الأحمر»، عن التحمّل: «أخاف من نفسي حين أظلّ صامدةً أمام الأشياء القاسية، أخاف حين لا أبكي أمام الأشياء التي تستدعيني للبكاء، وأخاف حين أصمتُ رغماً عن ضجيج راسي وكلّ الكلمات التي في صدري، أخاف على نفسي حين تستقبل كلّ الصدمات بهدوء تامّ، أخاف من فكرة أنّ هذا الثبات سينهار فجأة ولن أستطيع النهوض مرة أخرى... أنا التي اعتقدتُ أنّ خطواتي لا تتغيّ لهذا الطريق المُتعب، يُدهشني تحمّلي!».

تنهيدة طويلة، وتأمّل طويل رحتُ خلالهما أفكّر في قدرتنا نحن البشر على تحمّل الماسي التي قد نمرّ بها. وما من بشر اليوم يمرّون بماس مثلما هُم أهل غزّة وجنوب لبنان. ومَن يعلم إلى متى ستمتدّ المأساة وكم ستتغلغل. والمأساة هنا موتٌ أحبّة أمام أحبّتهم، وهدمُ بيوت بالحملة على رؤوس ساكنيها، ومناظر أطفال بدم على أجسادهم، وصراخُ أهل عليهم، ومستشفيات تفيضُ بالجرحى والقتلى، وجوع وعوز وفقر يعلو وجوه الناس التي شابت طلّتها وخفّ بريقها أمام الأهوال الجهنمية من «إسرائيل» ومجتمعها الغارق بالفاشية وأميركا الظلامية، أخلاقاً ودناءة، جاء في الأثر القرآني أنه «لا يكلّفُ الله نفساً إلّا وسعها»...»، وربّما لا تعرف النفس وسعها إلّا حينما تتعرّض لهذه السعة ومعالمها وتأثيراتها. هل خُلقَ شعبٌ أو أمّةٌ للموت على التلفاز ليل نهار بآلات قتل تدميرية ووحشية مغيبٌ عنها أيّ ضمير أو ضوابط؟ هل هناك أيّ سعةٌ بشرية في الكون تستطيع أن تتحمّل خراباً وفقداناً وعوزاً وتهجيراً متكرّراً يواجهُ شعباً كاملاً كما هو حال الفلسطينيّين في غزّة وشمال الضفة واللبنانيين في لبنان؟ الأسئلة مُفجعة والأجوبة أفجع.

أقرأ لأمّ (أسماء رجاء أكرم) ترعى أبناءها في غزّة وقد فقدت زوجها، وكيف علّقَ زوجها رايةً بيضاء بالقرب من الخيمة لعلّ الجيش الإسرائيلي يتركه وشأنه، لكنّ الأخير أطلقَ النار على العائلة، فقتلَ زوجها وابنها وغيرهما، وها هي تطعنُ طواحين الهواء لتعيش وتُساعدَ مَن تبقى من أسرتها. وأسمعُ عن عائلة لبنانيّة من الجنوب تأخّرت في الهرب إلى بيروت حتى سقط الصاروخ الإسرائيلي الأميركي الجهنمي الذي قضى على العائلة كلّها، وأرى نتنياهو يخطبُ في «الأمم المتحدة» عن جبروت «إسرائيل» ولعنة إيران. وأقرأ لخالد حروب مقالة عن «عمليّة الحرب»، استبدالاً لعمليّة السلام والإمعان في المجزرة على سبيل الضربة القاضية لبسط التوحّش الإسرائيلي على الشرق الأوسط، تجسيداً لطريقة «إسرائيل» المتمثّلة في نتنياهو: «أنا ربكم الأعلى...».

قُتل راهبٌ في جنوب لبنان مع عائلته، وقُتل طبيبٌ في غزّة مع عائلته، وقُتلتْ قتل... ما هذا الموتُ الذي يحصد الأبرياء الأنقياء، ويترك الوحوش تتوحّش حتى الثمالة على دماء وأرواح الآخرين. أي عدل إلهي سيتصفّ هؤلاء الأطفال، والأطباءَ والأئمة والرهبان والنساء والشباب بسبب عقل «إسرائيل» الآتية من قُمقم أوروبا المتوحّش، والمدعومة من زُعاة الشر في العالم، قادة أميركا وحكومتها السافلة؟ وأرى نتنياهو يخطبُ في «الأمم المتحدة» عن جبروت «إسرائيل» ولعنة إيران. وأقرأ لخالد حروب مقالة عن «عمليّة الحرب»، استبدالاً لعمليّة السلام والإمعان في المجزرة على سبيل الضربة القاضية لبسط التوحّش الإسرائيلي على الشرق الأوسط، تجسيداً لطريقة «إسرائيل» المتمثّلة في نتنياهو: «أنا ربكم الأعلى...».

قُتل راهبٌ في جنوب لبنان مع عائلته، وقُتل طبيبٌ في غزّة مع عائلته، وقُتلتْ قتل... ما هذا الموتُ الذي يحصد الأبرياء الأنقياء، ويترك الوحوش تتوحّش حتى الثمالة على دماء وأرواح الآخرين. أي عدل إلهي سيتصفّ هؤلاء الأطفال، والأطباءَ والأئمة والرهبان والنساء والشباب بسبب عقل «إسرائيل» الآتية من قُمقم أوروبا المتوحّش، والمدعومة من زُعاة الشر في العالم، قادة أميركا وحكومتها السافلة؟ وأرى نتنياهو يخطبُ في «الأمم المتحدة» عن جبروت «إسرائيل» ولعنة إيران. وأقرأ لخالد حروب مقالة عن «عمليّة الحرب»، استبدالاً لعمليّة السلام والإمعان في المجزرة على سبيل الضربة القاضية لبسط التوحّش الإسرائيلي على الشرق الأوسط، تجسيداً لطريقة «إسرائيل» المتمثّلة في نتنياهو: «أنا ربكم الأعلى...».

قُتل راهبٌ في جنوب لبنان مع عائلته، وقُتل طبيبٌ في غزّة مع عائلته، وقُتلتْ قتل... ما هذا الموتُ الذي يحصد الأبرياء الأنقياء، ويترك الوحوش تتوحّش حتى الثمالة على دماء وأرواح الآخرين. أي عدل إلهي سيتصفّ هؤلاء الأطفال، والأطباءَ والأئمة والرهبان والنساء والشباب بسبب عقل «إسرائيل» الآتية من قُمقم أوروبا المتوحّش، والمدعومة من زُعاة الشر في العالم، قادة أميركا وحكومتها السافلة؟

> قيامتنا ضدّها هي غريزة فينا ما بقينا في معركة البقاء والوجود

(كاتب وأكاديمي فلسطيني مقيم في لندن)

شاب فلسطيني يتلمّس الدمار الذي سببه قصف الاحتلال على خانيونس، 16 أبريل/ نيسان 2024 (Getty)

إطلالة

ضرورة القول

سومر شحادة

يُؤخذ على الرواية السورية في العقد الأخير كثرتها. أقصد عدد الإصدارات الكبير الذي ترافق مع الحدث السوري منذ بدايته في مطلع عام 2011. أقول حدثاً بحيادية، لأنّ ما يشغلني هو استقباله روائياً. استقبالٌ ظهر بمئات الروايات، وأصبح هذا العدد بطريقةٍ ما مأخذاً على الكتابة، وغالباً ما يشتكي مَن يورده من قلّة النصوص الفارقة. لكنّ تفسير هذا العدد من الروايات، لا يأتي من طبيعة القول أو من شكل القول أو من فنّيته، بقدر ما يأتي من ضرورته، ومن اكتسابه صوتاً محلّياً.

ربّما جزءٌ كبير من مأزق الرواية السورية يأتي من خارجها، من الظرف الذي يحيط بالكتابة والنشر، ومن الظرف الحارق الذي صنع لحظة الكتابة أساساً، عدا عن طبيعة الحدث المتغيّرة الآنية التي تشتمل على صنوف العنف والإقصاء، وتهميش ما هو جوهري وعادي في التجربة الإنسانية. وهو باختصار، ظرفٌ صنعه غياب السياسة، لا حضورها.

هكذا، وجدت الرواية السورية نفسها تأخذ دوراً شاغراً؛ هو توثيق الواقع المتغيّر بشكل لا يمكن الإحاطة به، توثيق لا باليومي الذاتي، بالمعنى الشخصي الذي ينطوي على زاوية رؤية محدّدة، وعلى موقف شخصي بالمجمل قد يدفع أحدهم إلى رؤية الحدث العام بصورة متمايزة عن الصورة التي يراها آخر. لكن في النهاية، ما صنع العدد الكبير من الروايات أظنّه ضرورة أن نحكي، ضرورة أن نروي جميعاً الحدث المبهم التاسع من الزوايا كلّها، وبأكبر قدر ممكن من زوايا الرؤية. من البداهة أن لزاوية الرؤية في أيّ نصّ روائي أهمّية مثلى، لاعتبارات فنّية بالمبدأ، لأنّ مَن يروي نصّاً، يملك بطبيعة الحال سلطةً على الشخصيات، وبالتالي لديه سلطة على القارئ. والسوية الفنّية للنصّ الروائي تعلو كلّما خفّت تلك السلطة التي يحوزها السارد. الروائي عملياً ينازع ويحتكّ مع السارد كي ينزع عنه تلك السلطة، ويورّعها على الآخرين وصولاً إلى نصّ متعدّد الأصوات، منفتح على التباس هذا العالم وتعدُّد وجهات النظر فيه، وانفتاح آفاقه. وكي يتيح الكاتب لشخوصه أن تقول مقولاتها بصوتها وبلغتها وبأسلوبها.

هذه المقاربة تحدث من داخل السرد؛ أي من داخل الجملة السردية نفسها. أمّا خارج السرد، فقد أتاحت تجربة الحرّية للكثيرين أن يقولوا ويكتبوا، وإن كانت مفردة الحرّية هنا ستثير اعتراضاتٍ كثيرة - بعضها مُحقّ - لأنّ الحال ليس بالمثالية التي يفترضها المقال، بل ما حصل في العموم السوري هو استبدالٌ قسري للقوى المتحكّمة بالواقع. مع ذلك، فإنّ شبهة لحظية بإمكان الحرية، بافترابها، حرّرت السنة وأطلقت كلمات. والعدد الكبير من الروايات، يأتي من تجربة شبهة الحرّية هذه.

ن تجربةً أن نسمع صوتنا في الاستديو الذي أعدّته لنا الحرب. وهذه المسوّغات تأتي من ضرورة أن يحفظ أحدُهم أصوات الضحايا، وفي الوقت عينه، تأتي بنتاً لتجربة الحرّية، ومع الأخذ بالاعتراضات التي قد تُسجَّل على هذا القول، لأقل بنت لتلك الفوضى الرهيبة، لذلك الشواش غير المسبوق الذي خفتَ في غماره الكثيرُ من رهاب القول والكتابة.

أخيراً أظنّ أن جزءاً من التهديد الذي طاول السلطة السياسية، طاول أيضاً سلطة مثقّفيها؛ إذ لم يعودوا قادرين على السيطرة المُحكمة على «الصنبور» الذي كانوا يفتحونه للأصوات الجديدة، لاعتبارات غير إبداعية، كي يتيحوا للكتابة أن تعبُر من خلاله. وبكلمات أبسط، أتاح ذلك الشواش الرهيب لأحدهم أن يصل عبر مقولته التي تحمل رؤيته وأسلوبه وسياقه الثقافي والاجتماعي المحلّي، من غير أن يعبر إلزامياً بالقنوات التقليدية للثقافة السورية.

(روائي من سورية)

معرض

إبراهيم الطنبولي خيوط مُنسلّة من غابة الألوان

لوحات تتكشّف بالابتعاد وتضيع بالاقتراب

تحضر في المعرض، المُقام حالياً بالقاهرة، لوحاتٌ أنجزها الفنّان التشكيلي المصري خلال الأعوام الماضية، ويُجسّد فيها مشاهد شعبية واجتماعية

القاهرة ـ **العربي الجديد**

إن كان لنا أن نُحدّد ثيمةً بصرية تُميّز لوحات التشكيلي المصري إبراهيم الطنبولي (1954)، فهي ازدحام الألوان التي تبدو كما لو أنّها تشتبك بعضها مع بعض في غابة واحدة، فالاقتراب منها يُضيّع المشهد، وبالتالي لا بدّ من أخذ مسافة عن اللوحة ومنحها فرصة التشكّل في هذا المدى المفتوح. وهذا ما تتمثّله لوحات معرضه الاستعادي الذي يتواصل في «ياسين آرت غاليري» بالقاهرة حتى نهاية تشرين الأوّل/ أكتوبر الجاري.

جاء معرض الفنان الإسكندري غفلاً عن أيّة تسمية، ربّما ليتوازى أيضاً مع حالة التشابُك اللوني التي أقيم عليها. إنّها التلقائية وقد بلغت أعلى مراحلها التعبيرية. التدقيق الزائد عن كثب يُصعّب مهمّة العثور على الوجوه والأشخاص في هذه اللوحات، لذا يُفضّل النظر إليها عن بُعد، لا حلّ سوى أن نترك المشهد وشأنه يتجرّد وفقاً لطبيعته الخاصة. هنا يتكشّف عن عائلة تسبح بضحبة مُهرّج مع مجموعة أسماك وطيور في حوض أزرق واحد، قد يكون بحراً أو فضاءً مفتوحاً غير معيّن، وهناك أسماك تهجر البحر وتتمشّى بأرجلها على شاطئ أصفر، كخيار سريالي يكسر إيقاع التجريد، ويجترح من غابة الخطوط طرافةً ما.

تُسيطر العوالم البحرية على لوحات الطنبولي، ومن هنا يأخذ الأزرق بتدرّجاته سيادة واسعة دون غيره من الألوان، ويصبح الازدحام اللوني ترجمة لصخب البحر وكائناته العجائبية التي تنسلّ زحفاً تارةً وبالقوارب تارةً أخرى صوب اليابسة، تُشارك النساء أحاديثهنّ وتستلف منهنّ القدود والهيئات الجسدية. أمّا الخطوط وكثافتها في اللوحة فيمكن إرجاعها إلى شباك الصيد. هل الوظيفية ذاتها التي تقود الصيّاد لرمي شباكه هي ما يدفع أيضاً الرسّام لبثّ خطوطه، فيقع الأوّل على ضالّته في الحياة، والثاني على ضالّته في الفنّ؟

> يبدو الازدحام اللوني ترجمةً لصخب البحر وكائناته العجائبية

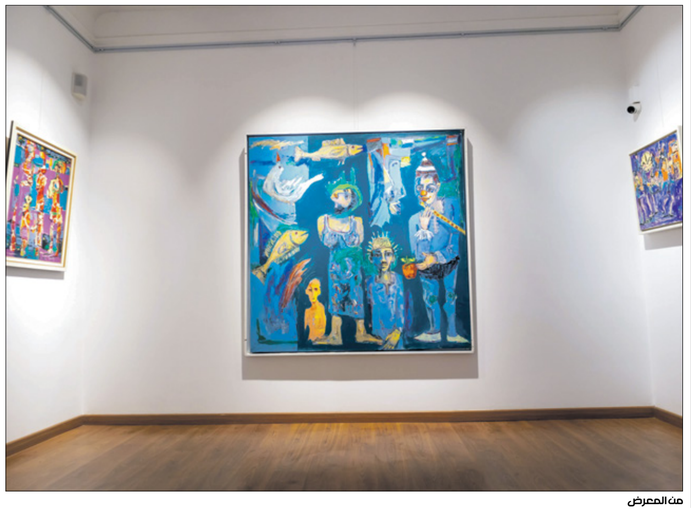

من المعرض

للافت أنّ لوحة الطنبولي تبقى، رغم احتشادها بالخطوط والألوان، مضبوطة على مستوى الأشخاص. صحيحٌ أنّها لا تُقارب عوالم الغرْلة ولا البورتريهات الفردية وتنفتح على بُعد واضح من الشعور بالفرح والصخب، لكنّها في الوقت عينه لا تُقدّم «لوحة حشود»، بل هي لوحة «اجتماع عدّة أشخاص»؛ سواء في إطار الشارع أو العائلة ليس أكثر من ذلك، مع احتمال أن نُضيف بعض الأفراد أو الأشجار أو الحيوانات (حصان أو ثور كتنويع على الأسماك والبحريات) إلى جانب المخلوقات العجائبية التي تتماهى مع المشهد بحيوية. أمّا لونياً فيحضر في كلّ ما سبق، بالإضافة إلى الأزرق، الأصفر والأحمر والأسود والأحمر بشكل رئيسي.

أقام إبراهيم الطنبولي أوّل معارضه الفردية في مطلع السبعينيات، وشارك في عشرات المعارض الجماعية في مصر وخارجها. ومن آخر معارضه الفردية: معرض استعادي بقاعة «إيزيس» في «متحف محمود مختار» (2011)، و«مصر النهارية» (2013)، و«المحروسة» (2014)، و«روعة الحياة» (2017)، و«من الإسكندرية مع حبّي» (2020)، و«مسارات الروح» (2021)، و«كلمات متقاطعة» (2022)، و«الإسكندراني» (2024).

فعاليات

تنطلق، عند العاشرة من صباح الأحد المقبل، في «مركز الذكاء الاصطناعي الرقمي» بـ«متحف قطر الوطني» في الدوحة، ورشةٌ بعنوان **صناعة الألعاب**، وتتواصل لأربعة أيام. يتدرّب المشاركون في الورشة على إنشاء لعبة إلكترونية، واكتشاف آليات صنعها وتصميمها، وكذلك جميع المهارات التقنية المتعلّقة ببرمجة الألعاب.

حتى الرابع من الشهر الجاري، يتواصل في «المتحف الوطني الأردني للفنون الجميلة» بعمّان معرض بعنوان **على خطى الموسيقى**. يستكشف المعرض، الذي افتتح السبت الماضي، التقاليد الموسيقية والآلات الشعبية ضمن أحد عشر مجتمعاً من الأردن والعراق وسورية ولبنان، وهو نتاج مشروع بدأ العام الماضي بهدف توثيق الموسيقى التراثية.

بعنوان **أسئلة الهوية في الرواية التونسية: محمّد عيسى المؤدّب نموذجاً**، تنطلق، عند الثالثة من بعد ظُهر غدٍ في مدينة نابل التونسية، فعاليات الدورة الثالثة من «ملتقى محجوب العياري للكتاب والآداب»، وتتواصل لثلاثة أيام. من بين المشاركين: **محمد القاضي**، و**فاطمة بن محمود**، و**محمد الهادي عرجون**، و**ريم قاسم**.

حتى مساء الأحد المُقبل، يتواصل في **متحف الفنون الجميلة** بمدينة الإسكندرية معرض للفنّان التشكيلي المصري **خالد حافظ** (1963)، والذي افتتح في الثاني عشر من الشهر الجاري. يستعيد حافظ مفردات من الحضارة المصرية، لمقاربة أفكار تتعلّق بصراع الإنسان مع الطبيعة وفهمه نشوء الكون ونظرته الى وجوده في العالم.